السيرة الذاتية:

الأستاذ حسين بن البشير الأسود من مواليد 04 فيفري 1984م بالمقرن ولاية الوادي، متحصل على شهادة الماجستير، وهو في طور إعداد أطروحة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، أستاذ معيد بجامعة الشهيد حم لخضر بالوادي.

مشارك في العديد من الملتقيات الدولية والوطنية والأيام الدراسة، وله عدة مقالات منشورة في مجلات الدولية ووطنية.

تمهيد:

يعتبر الإمام المغيلي واحدا من أهم علماء المغرب الأوسط القلائل الذين جمعوا بين العلم والعمل، وما يتعلق به من تحصيل وتدريسه، وبين ممارسة السياسة ومحاولة الإصلاح بالرجوع إلى تعاليم الدين من منابعه الأصلية. ورغم اختلاف العديد من المؤرخين والباحثين حول تفاصيل عديدة من حياته، إلا أنهم أجمعوا على أنه كان عالما تقيا فقيها في العديد من العلوم وفنون المعرفة، ورحالة نبيها، عاش صباه بتلمسان، وفترة دراسته وشبابه بين بجاية والجزائر، وسنوات طوال من عمره بين قصور توات المترامية في الصحراء، وبين ممالك السودان الغربي، محاولا تجسيد أفكاره ومبادئه، وأعماله الإصلاحية.

والسؤال الذي يطرح نفسه، ما هو الدور الذي لعبته رسائل الإمام المغيلي في تنظيم الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد السودان الغربي؟

1- الإمام المغيلي (المولد والنشأة)

يعد الإمام المغيلي من أبرز علماء الجزائر-المغرب الأوسط- في النصف الثاني من القرن8 هـ/ 15 م، وهو من الفقهاء الأذكياء ذوي الرؤية الثقافية والحكمة الصائبة[1]، وواحد من العلماء المشهورين الذين كانت لهم مشاركة في تفعيل الحياة السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية بإقليم توات والسودان الغربي.•

ويرجع الإمام المغيلي في نسبه إلى قبيلة مغيلة•• القاطنة في نواحي تلمسان، وبها ولد-مغيلة- فلقب بالمغيلي نسبة لمكان الميلاد، أما عن تاريخ المولد فلم تتحدث المصادر عن تاريخ معين، فهناك من يرى أنه

1- ابن عساكر، **دوحة الناشر لمحاسن من كان في المغرب من مشايخ القرن العاشر**، تر، محمد حجي، دار الغرب، بيروت-لبنان، ص130.

• السودان: أطلق العرب اسم السودان على تلك الأقوام المتمركزة في جنوب الصحراء الكبرى، وسميت رقعتهم ببلاد السودان نسبة إلى لون البشرة(السواد) الذي يمتاز بها سكانها، كما يطلق عليها بعض المؤرخون اسم "التكرور" التي أصبحت مرادفة لكلمة سوداني. وتنقسم بلاد السودان إلى ثلاث أقاليم كبرى هي: السودان الشرقي، السودان الأوسط، والسودان الغربي.

ولد في عام 820هـ/1417م، وقد ذكر هذا التاريخ عبد الحميد البكري، في حين يرجح الأستاذ مبروك مقدم تاريخ ميلاده بعام 831 هـ/ 1427 م، وقد اعتمد هذا التاريخ نظرا لتطابقه مع الأحداث، وخاصة مراسلاته وتنقلاته لأصقاع العالم وبالأخص إفريقيا الغربية[1].

نشأ الإمام المغيلي في أحضان عائلته المشهورة بالعلم والتقوى والتصوف، تلقى دروسه الأولى على يد الشيخ محمد بن احمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب فحفظ عليه القرءان الكريم، كما أخذ عنه مبادئ العلوم الشرعية، ودرس على يديه أمهات الكتب الفقهية للمذهب المالكي كالرسالة، ومختصر الخليل، وابن الحاجب وابن يونس[2].

عكف بعدها على دراسة العلوم اللغوية والدينية والعقلية والنقلية، الشيء الذي دفعه إلى مغادرة تلمسان باتجاه مدينة بجاية، فقد كانت آنذاك مركزًا ثقافيا يعج به الطلاب الوافدين إليها من كل جهة فاخذ جملة من العلوم على يد الشيخ أبو العباس الوغليسي، وتفقهه على يده في مذهب الإمام مالك بن أنس[3] . لكنه لم يبق طويلا بمدينة بجاية فخرج منها قاصدا جزائر بني مزغنة مدركًا مدرسة الإمام عبد الرحمان الثعالبي •، طالبا للعلم والمعرفة، فأخذ عنه علم الحديث والتفسير والقراءات، وعلم التصوف، ولما رأى الإمام الثعالبي في شخص المغيلي الذكاء والفقه والشجاعة، قربه إليه وزوجه ابنته زينب، وهذا يدل على أن للإمام المغيلي مكانة وحظوة عند شيخه، وأوصاه: "بأن لا يعاشر أهل سفاهة، وأن لا يستوطن مكانة إهانة "[4].

وأخيرا قصد منطقة تمنطيط بواحة توات، فتتلمذ على يد الشيخ يحي بن يدير التادلسي، وفيها قال المغيلي:" دخلنا توات فوجدناها دار علم وأكابر، فانتفعنا بهم وانتفعوا بنا". وعندما توسعت مداركه ومعارفه، وتزود بما يكفيه، تصدى هو الآخر للتدريس كشيخ وأستاذ، فتتلمذ على يديه عدد لا بأس به من العلماء والشيوخ

•• مغيلة: قبيلة من البربر استوطنت تلمسان ووهران و المغرب الأقصى، وهي فرع من قبيلة صنهاجة كبرى شعوب الأفارقة البيض، ينظر، الحسن بن محمد الوزان، **وصف إفريقيا**، ج1، ط2، تر، محمد حجي/ محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1983، ص ص36-38.

1- مبروك مقدم، **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارات الإسلامية بأفريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجرة الخامس عشر للميلاد**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران- الجزائر، ص27.

2- مبروك مقدم ، **الإمام المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارات وممالك إفريقيا الغربية خلال القرن الثامن والتاسع والعاشر الهجري**، ج1، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2002 ، ص49.

3- عبد الله الحمادي الإدريسي، **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني وتصدِّيه للخطر اليهودي بصحراء توات والصقع السوداني(ت909هـ/1504م)**، ج1، دار إبتكار للنشر والتوزيع، بسكرة-الجزائر، 1432هـ/2011م ، ص127.

• عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري (875هـ/1470م)، بدأ في طلب العلم من ناحية الجزائر في آخر القرن الثامن ، وبعدها انتقل إلى بجاية ، سافر بعدها إلى المشرق وجلس إلى أبي عبد الله البساطي، رجع بعدها إلى تونس وأخذ عن البرزلي ، من شيوخه: عبد الواحد الغرياني ، وأبو القاسم العبدوسي وابن قريشية ، من آثاره : تفسير الجواهر الحسان في غاية الحسن ، روضة الأنوار ونزهة الأخيار ، الأنوار في معجزات النبي المختار...أخذ عنه مجموعة من العلماء كالشيخ محمد بن محمد بن مرزوق ومحمد بن عبد الكريم المغيلي، ينظر، أحمد بابا التمبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الدباج**، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس- ليبيا، 1989، ص ص 257-260. وينظر، محمد بن مريم التلمساني ، **البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان**، تح، محمد بن شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص 256.

4- حاج أحمد نور الدين، **المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال الرسائل التي بعثها للملوك والأمراء والعلماء، مذكرة ماجستير في الشريعة الإسلامية**، إشراف/ مولود سعادة، جامعة الحاج لخضر-باتنة، 2011/2010، ص27.

أمثال: الفقيه محمد أيد احمد المشهور بلقب أيد أحمد، والشيخ الإمام الفقيه العاقب الأنصمى المسوفي ، ومحمد بن عبد الجبار الفيجيجي الفقيه والأديب والشاعر(ت950هـ) و الشيخ عمر الملقب ببن سيد أحمد البكاي وغيرهم كثير[1].

وخلال انشغاله بالتدريس في تلمسان، لاحظ التعفن السياسي الذي يسود عرش بني زيان، وتكالب القوى الأوروبية ضد البلاد ومدنها الساحلية، واستسلامهم لأهواء الأجانب من اليهود والأسبان، ومما زاد من ألم ووجع الشيخ المغيلي هو ضعف العلماء وعدم قدرتهم عن تغيير المنكر[2] ، فأنف العيش هناك وتاقت نفسه للهجرة، أين يكون في مقدوره القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

في هذه الظروف العصيبة انتقل الإمام المغيلي لواحات توات، حيث وصل إليها في حدود 884هـ/1479م[3]، وفيها تناهت إليه أنباء المسلمين في إقليم السودان الغربي جنوب الصحراء عن طريق التجار والحجاج والطلبة الدارسين في الكتاتيب القرآنية بشمال وشرق ووسط إفريقيا[4].

ولم تختلف الأسباب التي دفعت الإمام المغيلي للتنقل إلى بلاد السودان الغربي عن تلك التي دفعت به للواحات التواتية[5]، والتي في مقدمتها نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية، والدعوة الإصلاحية والتصدر للتعليم والوعظ والإرشاد...الخ، يقول الزركلي: "ورحل المغيلي إلى السودان وبلاد التكرور لنشر أحكام الشرع وقواعده"[6] .

2- نزول الإمام المغيلي بالسودان الغربي

يتفق المؤرخون بأن أول أرض نزل بها في السودان هي بلاد "أهير" ، لينتقل بعدها إلى "تكدة" بعض الوقت، حيث اشتغل بها في التدريس والوعظ والإرشاد، وفيها اشتهر كعالم ومصلح مقاوم للبدع والخرافات[7].

ومن تكدة اتجه نحو "كانو" التي بنى فيها المدرسة المعروفة باسمه وتصدر بها للتدريس، فانتشر صيته وقصده الطلبة من الجهات المختلفة. كما حضي بمكانة خاصة عند سلطانها أبي عبد الله محمد رنفة بن يعقوب

1- للمزيد ينظر، أحمد بابا التنبكتي، **المصدر السابق**، ص 578 - ابن مريم، البستان، **المصدر السابق**، ص227.
2- عبد الله مقلاتي/ محفوظ رموم، **دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية**، دار الشروق، الجزائر، 2009، ص73.
3- **المرجع نفسه**، ص74.
4- مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، المرجع السابق، ص28.
5- عندما جاء الشيخ المغيلي إلى توات وجدها مملوءة على عروشها باليهود فحاربهم وتصدى لهم ، ووقعت بينه وبينهم نزاعات حادة ، للمزيد عن قصة المغيلي مع يهود توات ، ينظر، عبد الحميد بكري، النبذة **في تاريخ توات وأعلامها**/ مبروك مقدم، **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية**/يحي بوعزيز، **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة** .
6- خير الدين الزركلي، **الأعلام(قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين)**، ج2، ط15، دار العلم للملايين، لبنان، 2002، ص216.
7- عبد الله مقلاتي/ محفوظ رموم، **المرجع السابق**، ص102.

الذي عينه مستشارا له، و ولاه القضاء والإفتاء في الفترة التي قضاها ببلاده. ومن كانو اتجه إلى "كاتسينا" وتولى بها منصب الإمامة والقضاء من طرف حاكمها ماحي إبراهيم.

بعد رحلة طويلة في تلك البقاع التي تعرف"ببلاد الهوسا"•، قرر مواصلة السير نحو بلاد التكرور لينزل على أرض "إمبراطورية سنغاي" التي تعد أكبر قوة سياسية واقتصادية في السودان الغربي خلال القرنين 15و16م [1].

فوصل إلى العاصمة غاو سنة 1497م، وبها بدأ دعوته لإصلاح المفاسد والانحرافات ومحاربة البدع والخرافات، ونشر تعاليم الدين الإسلامي على مذهب أهل السنة والجماعة، كما التقى بأميرها الأسقيا محمد الكبير صاحب الأسئلة العديدة التي وجهها للإمام المغيلي، والتي أثار فيها العديد من المشاكل الاجتماعية والسياسية والدينية...التي كانت تواجهه في بلاد السودان وموقف الإسلام منها[2].

3- ماهية رسائل المغيلي وأهميتها التاريخية

قدم المغيلي إلى السودان الغربي وهدفه الرئيسي إحياء الدين الإسلامي، وإيصال تعاليمه إلى أكبر عدد ممكن من الناس، وكان يرى أن السبيل الأمثل إلى ذلك هو الاتصال بالأمراء، وعندما كان في كانو التقى بحاكمها أبو عبد الله محمد بن يعقوب رنفة، وكتب له رسالة أرشده فيها إلى التزام الجادة الإسلامية في حكمه، وعنونها بـ" إتباع الشرع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، افتتحها بالبسملة ثم ذكر فيها اسمه واسم المرسلة إليه(محمد رنفه)، ثم أشار إلى سبب كتابته لهذه الرسالة في قوله: "فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة فيما يجوز للحاكم في ردع الناس عن الحرام"، وهي تحتوي على ثمانية أبواب.

وعندما انتقل إلى غاو اتصل بالسلطان الأسقيا محمد الكبير، فأكرمه هذا الأخير، وكتب له أسئلة ترجاه الإجابة عليها وفق الوجهة الشرعية في الإسلام[3]. وتضمنت هذه الرسالة الإجابة على سبع مسائل أعطى من خلالها الشيخ المغيلي حلول فقهية وسياسية للحاكم في مواجهة مشاكل المملكة التي تعترض طريقه.

وتكمن الأهمية التاريخية لهته الرسائل في أنها تلقي الضوء على الأوضاع السائدة في بلاد السودان خلال تلك الحقبة الزمنية، كما بينت الأحوال الاجتماعية والسياسية التي شغلت السلاطين في تلك البلاد، بل تعدتها إلى العلاقات مع الإمارات والقبائل المجاورة لها. بالإضافة إلى المكانة الرفيعة التي اختص بها العلماء عند الحكام والسلاطين.

• بلاد الهوسا: وتعني بلاد لغة الهوسا، وأما شعبها فهم خليط من الأجناس تمكنوا من التعايش فيما بينهم، وتتكون من سبع ممالك كل مملكة على رأسها ملك خاص بها، وتمتد من حدود مملكة بورنو شرقا حتى واد النيجر غربا، للمزيد ينظر، مهدي آدامو، **تاريخ إفريقيا العام(الهوسا وجيرانهم بالسودان الغربي)**، مج 4، اليونسكو، 1988، ص273.

1- للمزيد عن "مملكة سنغاي" ينظر، جوزيف جوان، **الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء**، تر، مختار السويقي، دار الكتب المصرية، مصر، 1984، ص79.

2- للمزيد ينظر، حاج أحمد نور الدين ،**المرجع السابق**، ص53.

3- محمد بن عبد الكريم المغيلي، **أسئلة الأسقية وأجوبة المغيلي**، تح، عبدالقادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص62.

4- رسائل الإمام المغيلي ودورها في تنظيم الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد السودان الغربي

كان لانتشار الإسلام في إقليم وسط وغرب إفريقيا تأثير كبير على الحياة العامة للناس، ساهمت فيه رحلات العلماء والدعاة بشكل كبير، وكان لها في الوقت ذاته دورًا بارزًا في التأثير على الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ومن ذلك ما تجلى في آراء وأفكار الشيخ المغيلي، فلو نعود إلى رسائله الموجهة إلى أمير كانو، أو أجوبته على أسئلة الأسقيا، نجد ما يوحي بتأثير أفكاره بتنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية ببلاد السودان الغربي.

أ: دور الرسائل في تنظيم الحياة الاقتصادية

إن الدارس لوصية المغيلي لأمير كانو وأجوبته للأسقيا يجد أنها قد تضمنت تنظيمًا لحياة السوق. فنجد في النقطة السابعة عن أسئلة الأسقيا "...منهم من يطفف المكيال والميزان بالزيادة والنقصان ومنهم من يغش الذهب والفضة بالنحاس، أو يأبى أن ينزق التبر من التراب، أو ينفخ في اللحم أو يخلط اللبن بالماء، وغير ذلك من الغش إذا اشترى السلعة حازها وذهب بها، قبل أن يدفع لربها ثمنها، فإذا ندم أو لم يبعها بربح وطلب منه ربها الثمن قال له : خذ سلعتك أو اصبر حتى نبيعها..."[1].

فأجابه الشيخ أن التطفيف حرام بالكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة، وواجب على الأمير أن يجعل أميرًا على الأسواق وحفظ الأرزاق، فيصلح موازين كل بلد على بنية واحدة بتقويم الميزان والوزن وتسوية الصنوج، وكذلك يجب إصلاح المكاييل كبارها وصغارها حتى تكون كلها على نية واحدة ولا بد من عرض الموازين والمكاييل على التغيير في كل حين، فمن ظهرت عليه الخيانة في شيء من الوزن أو الكيل فعاقبوه وأخرجوه من أسواق المسلمين.[2]

والبيع لازم بالقول ولازم بالمعطاة، فواجب على المشتري أن يعطي ماعليه من الثمن، فإذا أخذها منه كرهًا، وإن لم يوجد غير سلعة غريمه أخذها الحاكم وباعها على ذمته، ثم قضى لغريمه ثمن سلعته، فإن فضل شيء فهو له، وإن بقى عليه شيء اتبعه الغريم، وليس له ردها على بائعها إلا برضاه أو بعيب قديم.[3]

كما احتوت الرسالة الموجهة لأمير كانو وأسئلة الأسقيا كيفية تمويل بيت المال من الكسب الحلال، فنجد في الباب السابع فيما يجب على الأمير من جني الأموال من وجوه الحلال، منها زكاة العين والماشية،

1- محمد بن عبد الكريم المغيلي، **المصدر السابق**، ص08.

2- أبو بكر ميغا، **"دعوة الإمام المغيلي العلمية والإصلاحية في السودان الغربي أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجري وأثرها في الرعاة والرعية وانتعاش الحركة العلمية بالمنطقة"**، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،ع 7، الرياض ،أكتوبر، 1992 ، ص244.

3- محمد بن عبد الكريم المغيلي، **المصدر السابق**، ص 66.

والفطر، والمعادن، وخمس الغنيمة، والركاز[1]، وأموال الصلح، والجزية، وما يؤخذ عن تجار أهلها، وتركة لا وارث لها، وأموال الفيء، وأن يصرفها في أوجهها بالكرم و العدل، لا بالبخل والتبذير.[2]

ومن خلال أجوبة المغيلي للأسقيا، يتجلى الدور الذي لعبه في رسم التنظيم الاقتصادي للمنطقة، ومن ذلك محاربة الآفات التي تنتشر في الأسواق، والتي تخل بالحياة الاقتصادية وتضيع الحقوق المالية للناس، والتي تؤدي في النهاية إلى زعزعة الاستقرار العام.[3]

أما في عهد عثمان بن فودي، فنجد أن رسائل المغيلي لأمراء السودان الغربي، قد استأثرت أكثر من غيرها بأحكامه، فكتابه "سيراج الإخوان في رجم ما يحتاج إليه في هذا الزمان" اعتمد في أكثر فصوله على أجوبة المغيلي للأسقيا، وعليه فإن تنظيم الدولة الفلانية بالضرورة قد اعتمد على أفكار وأراء الشيخ المغيلي في الحياة الاقتصادية في الدولة.[4]

أما في دولة ماسينا، فقد قام أحمدو لوبو بإنشاء بيت المال، وكانت تضم أموال الدولة التي تجمع من الزكوات ومن الجزية والخراج والغنائم والمكوس والغرامات.[5]

أما بخصوص الضرائب، فقد وضع ضريبة على الفلاحين والرعاة وصيادي الأسماك والتجار، باعتبارها حرف مُدرة للثروة، واعف أصحاب الحرف، لأنها لا تدر ربحًا على أصحابها، كما فرض ضريبة إضافية على أصحاب الثروات وضريبة على توريد الملح قُدرت بواحد على أربعين، وضريبة على السلع الموردة، والتي تباع في أسواق المملكة بقيمة واحد على عشرة، وكان خمس هذه الضرائب يذهب إلى بيت المال، والباقي للمقاطعات، من أجل توزيعها، وبناء المساجد، وتجهيز الجيش[6].

ب: دور الرسائل في تنظيم الحياة الاجتماعية

ساهم العلماء والدعاة بشكل كبير في نشر الإسلام بإفريقيا جنوب الصحراء وتحويل كثير من القبائل الإفريقية من حياة الوثنية إلى حياة الإسلام، وفي ذلك يقول توماس ارلوند:" إن أقبح الرذائل و أكْل لحوم البشر وتقديم الإنسان قربانا ووأد الأطفال أحياء –تلك الرذائل التي نجد ما يبرر الاعتقاد بأنها كانت في وقت ما كانت منتشرة في كل افريقيا، ولا يزال في بقاع كثيرة منها حتى تلك الجهات التي لا تبعد عن ساحل الذهب وعن موطننا- قد اختفت فجأة والى الأبد، ولا الساكنون الذين كانوا يعيشون حتى ذلك الوقت عراة بدءوا يرتدون

1-الركاز: هي قطع من ذهب أو فضة تخرج من الأرض أو المعدن ، انظر ابن منظور، **لسان العرب**، مج5، دار صادر، بيروت- لبنان، دت، ص365

2- آدم عبد الله الآلوري، **الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفُلاني**، ط2، دن، 1971، ص-ص80-81.

3- أبو بكر ميغا، **المرجع السابق**، ص215.

4- عبد العلي الودغري، **اللغة العربية والثقافة الإسلامية بالغرب الإفريقي**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2010، ص، 82.

5- أحمد بوعتروس، **الحركة الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء إبان القرن الثالث عشر-التاسع عشر ميلادي**، دار الهدى ،الجزائر،2009، ص210.

6- الهادي هارون، **الطريقة القادرية في وسط وغرب أفريقيا ودورها الحضاري من القرن16م إلى 19م**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف/ صالح بوسليم، قسم العلوم الإنسانية، جامعة غرداية، الموسم 2016/2015م، ص129.

الملابس بل يتألقون في ملابسهم، والساكنون الذين لا يغتسلون قط من قبل بدءوا يغتسلون بل يكثرون في الاغتسال لأن الشريعة المقدسة تأمر بالطهارة، وهو فرض لا ينطوي على تأثير قوي جدا في غرائزهم التي جبلوا عليها، ويميل النظام القبلي إلى فسح المجال لأساس أوسع نطاق، أو بعبارة أخرى إلى اندماج القبائل بعضها ببعض لتصير معا وبازدياد النشاط والمعرفة تصير الأمم إمبراطوريات...."[1].

من خلال ما سبق يتضح لنا الدور الكبير الذي لعبه الإسلام من خلال حركة العلماء والدعاة، في تحويل حياة الإفريقي من حياة الرذيلة إلى الحياة النبيلة، وغيرَ من نمط معيشته، وأصبح الإفريقي المسلم يتميز بالنشاط والقوة، والاعتماد على النفس واحترام الذات، وهذه كلها صفات نادرا جدا إن نجدها في مواطنيهم الوثنيين أو المسيحيين [2] . وهو ما تجلى في التنظيمات الاجتماعية للمالك في السودان الأوسط والغربي. فقد ظهر تأثير رسائل الإمام المغيلي جليا في إمارة كانوا ومملكة سنغاي، فمن أعظم المنكرات التي كانت منتشرة اختلاط الرجال بالنساء، وكشف العورات وعدم وجود الحرمة والغيرة، فلا ناهي ولا منتهي، ولا يوجد حكام ولا قضاة ولا شرطة ولا رقابة، فالإمام المغيلي أعطى للحكام في هذا الأمر الحل وذلك بمحاربته، واتخاذ الحراس والأمناء في الليل ومراقبة البيوت التي تنشر الفاحشة، وملاحقة من يشك أنه يقوم بهذا الأمر وتقديمه إلى المحتسب لعقابه، حيث يقول:" ومن أعظم المنكرات ما ذكرتم من اختلاط الرجال بالنساء وكشف العورات، فواجب على أمير المؤمنين أن يجتهد في منع ذلك كله بما استطاع، وأن يجعل أمناء يحتسبون على ذلك ليلا ونهارا سرا وجهرا، وليس ذلك من باب التجسس على المسلمين، إنما ذلك حسن الرعي وردع المجرمين، لا سيما إذا شاع الفساد في البلاد كما في تمبكتو وجنى ونحوهما..." [3] .

ومن أكبر المناكر المنتشرة هناك، أن البكر لا تستر شيئا من عورتها مادامت بكرا حتى تتزوج، وكان موقف الإمام المغيلي من ذلك حاسما بقوله:" فذلك منكر من أكبر المناكر، وأقبح القبائح، لم يسمع قط بمثله في شيء من بلاد المسلمين، بل لا يرضى به حتى اليهود والنصارى، فكيف يزعمون أنهم مسلمون، إنا لله وإنا إليه راجعون، فحاش المؤمنين المسلمين أن يفعلوا مثل ذلك ويتواطئوا عليه خلفا عن سلف، فواجب عليهم أن يتوبوا إلى الله تعالى عاجلا، وأن يبادروا إلى تغيير ذلك وغيره من المناكر عاجلا..." [4].

ومن خلال ذلك التأثير نجد أن الأسقيا محمد قد أرغم الناس على إتباع قواعد الإسلام في ناحية الزي والاختلاط، كما حكم بحرية ابن الرجل الحر من زوجة رقيقة، وكان الناس في عهده أحياء شرفاء، وكان القضاة عدولا ولا أثر للرشوة في مملكته، وساد الأمن حتى أن الطفل يذهب إلى السوق فلا يغشه ولا يسرقه

---

[1]- أبو بكر ميغا، **المرجع السابق**، ص165.

[2]- **المرجع نفسه**، ص186

[3]- مهدي رزق الله، **حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية قبل الاستعمار وأثرها الحضارية**، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض- السعودية، 1998، ص186

[4]- **نفسه**.

احد، كما أن العادات الاجتماعية كالمثابرة على الصلاة واستعمال الثياب الأبيض والمنافسة على حفظ القرآن الكريم وثيقة الصلة بالإسلام، والتحول عنها عسير، وهي مرتبطة أكثر بالدين وآدابه[1].

وفي دولة سكوتو كان الإسلام أساس أنظمة المجتمع، حيث تمتع العلماء وطلاب العلم بمكانة اجتماعية عالية، وتولوا مناصب التدريس والقضاء وغيرها من المناصب ذات الصلة بالثقافة الإسلامية، وألّف الاسلام بين فئات الشعب المختلفة، واختفت مظاهر التناحر بين جماعات الفلاني وجماعات الهوسا، وغيرها من الفئات الاجتماعية الأخرى، وحلت قيم الإسلام محل العادات والتقاليد الجاهلية التي كانت سائدة في مجتمع الهوسة قبل قيام الشيخ عثمان بن فودي بحركته الإصلاحية التي كان لإرث الإمام المغيلي أثر كبير فيها، وقد أشار إلى ذلك في كتابه: "الفرق بين ولاية أهل الإسلام وأهل الكفر" إلى الكثير من العادات الجاهلية السيئة التي كانت سائدة في بلاد الهوسا مثل: وضع التراب على الرؤوس عند التحية وضرب الطبول، وشرب الخمر، وتعظيم النار، واختفت الأعياد الجاهلية لتحل محلها الاعياد الدينية، وسادت التقاليد الإسلامية في الزواج والطلاق والميراث والمآتم[2].

ففي أحكام الميراث أفتى الإمام المغيلي بكفر من يحللون ميراث الرجل دون المرأة ويجحدون شرائع ميراث الإسلام، وأما الذين لا يجحدون فليؤمروا بالتوبة، وقال:" وإن لم يجحدوا الميراث وأقروا أنهم عصاة فليؤمروا بالتوبة والرجوع إلى فرائض الله في الميراث فيما يستقبل، فإن أبو فلسلطان أن يأخذ أموالهم كلها." [3].

ومن المنكرات المنتشرة في بلاد السودان السحرة والكهنة ومن يدعون علم الغيب، فهؤلاء يجب تحذير الناس منهم حسب قول الشيخ المغيلي، وأن من يصدقهم فهو كافر بنص الحديث، وأما عن هؤلاء الأشخاص فتجب محاربتهم والوقوف ضدهم وتطبيق حكم الشرع فيهم، يقول المغيلي:" أما من يزعم أنه يعلم علم الغيب أو شيء من تلك الأمور أو غيرها فهو كاذب ومن صدقه كفر، فواجب أن يوقفوا للتوبة تحت السيف، فمن تاب ترك، ومن أبى قتل بالسيف كافرا، فلا يغسل ولا يكفن ولا يدفن في مقابر المسلمين...، وكذلك يوقف تحت السيف كل ساحر أو ساحرة، وكل من يزعم أن عنده من الطلاسم والعزائم ونحوها وما يجلب الرزق أو يهزم العدو أو نحو ذلك، فمن تاب منهم ترك ومن أبى قتل..." [4].

ودافع بن فودي عن ضرورة توعية النساء بأمور الدين وتعاليمه فقال:" إن تركهن في الجهل بما يجب عليهن معرفته في دينهن ودنياهن أكثر ضررا من اختلاطهن بالرجال مع ضمان التعليم والوعي"[5].

وقد ألف الشيخ عثمان بن فودي في معالجة الشؤون الاجتماعية مؤلفات كثيرة متعلقة بمحاربة البدع وحقوق المرأة وضرورة تربيتها دينيا وثقافيا، ومن ذلك كتاب إحياء السنة وإخماد البدعة ، تنبيه الإخوان على جواز اتخاذ المجلس من أجل تعليم النساء الفرائض الدينية[1].

---

[1]-احمد شلبي، **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**، ج6، ط4، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1983، ص277.
[2]- الهادي هارون، **المرجع السابق**، ص132.
[3]- حاج أحمد نور الدين، **المرجع السابق**، ص 177.
[4]- **نفسه**.
[5]-عثمان برايما باري، **جذور الثقافة الإسلامية في الغرب الإفريقي**، ط1، دار الأمين، القاهرة، 2000، ص102

ومما تقدم يمكن الوقوف على الدور البارز الذي قام به الإمام المغيلي في السودان الغربي، وما نتج عن حركته العلمية والإصلاحية من آثار ظهرت جليا في إصلاح مفاهيم كثيرة كانت مغلوطة في أذهان العامة والسلاطين خاصة في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية.

- **المصادر والمراجع:**

1- ابن عساكر، **دوحة الناشر لمحاسن من كان في المغرب من مشايخ القرن العاشر**، تر، محمد حجي، دار الغرب، بيروت- لبنان.

2- ابن منظور، لسان العرب، مج5، دار صادر، بيروت- لبنان، دت.

3- آدامو مهدي، **تاريخ إفريقيا العام(الهوسا وجيرانهم بالسودان الغربي)**، مج 4، اليونسكو، 1988.

4- الآلوري آدم عبد الله، **الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفُلاني**، ط2، دن، 1971.

5- الإدريسي عبد الله الحمادي ، **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني وتصدِّيه للخطر اليهودي بصحراء توات والصقع السوداني(ت909هـ/1504م)**، ج1، دار إبتكار للنشر والتوزيع، بسكرة- الجزائر، 1432هـ/2011م .

6- برايما باري عثمان، **جذور الثقافة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين**، ط1، دار الأمين، القاهرة، 2000.

7- بوعتروس أحمد، **الحركة الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء إبان القرن الثالث عشر-التاسع عشر ميلادي**، دار الهدى ،الجزائر،2009.

8- بوعزيز يحي، **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1995.

[1]- **نفسه.**

9- التلمساني محمد بن مريم، **البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان**، تح، محمد بن شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908.

10- التمبكتي أحمد بابا، **نيل الابتهاج بتطريز الدباج، منشورات كلية الدعوة الاسلامية**، طرابلس- ليبيا، 1989.

11- جوان جوزيف ، **الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، تر، مختار السويقي، دار الكتب المصرية**، مصر، 1984.

12- رزق الله مهدي، **حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية قبل الاستعمار وأثرها الحضارية**، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض- السعودية، 1998.

13- الزركلي خير الدين، **الأعلام (قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين)**، ج2، ط15، دار العلم للملايين، لبنان، 2002.

14- المغيلي محمد بن عبد الكريم، **أسئلة الأسقية وأجوبة المغيلي**، تح، عبدالقادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.

15- شلبي احمد ، **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج6، ط4**، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1983.

16- مقدم مبروك، **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارات الإسلامية بأفريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجرة الخامس عشر للميلاد**، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران- الجزائر.

17- مقدم مبروك، **الإمام المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارات وممالك إفريقيا الغربية خلال القرن الثامن والتاسع والعاشر الهجري**، ج1، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2002.

18- مقلاتي عبد الله / رموم محفوظ ، **دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية**، دار الشروق، الجزائر، 2009.

19- ميغا أبو بكر ، **"دعوة الإمام المغيلي العلمية والإصلاحية في السودان الغربي أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجري وأثرها في الرعاة والرعية وانتعاش الحركة العلمية بالمنطقة"**، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،ع 7، الرياض ،أكتوبر، 1992 .

20- نور الدين حاج أحمد ، **المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال الرسائل التي بعثها للملوك والأمراء والعلماء**، مذكرة ماجستير في الشريعة الإسلامية، إشراف/ مولود سعادة، جامعة الحاج لخضر-باتنة، 2011/2010.

21- الودغري عبد العلي، **اللغة العربية والثقافة الإسلامية بالغرب الإفريقي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، الرباط، 2010.

22- الوزان الحسن بن محمد ، **وصف إفريقيا**، ج1، ط2، تر، محمد حجي/ محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1983.

23- هارون الهادي، الطريقة **القادرية في وسط وغرب أفريقيا ودورها الحضاري من القرن16م إلى 19م**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف/ صالح بوسليم، قسم العلوم الإنسانية، جامعة غرداية، الموسم 2016/2015م.